عنوان المداخلة :

العلاقات الفكرية والثقافية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي مصر، تونس ،موريتانيا ،الجزائر، وبجاية أنموذجا

الدكتور أحمد جعفري
قسم اللغة العربية / الجامعة الإفريقية أدرار

حاضرة توات ....الموقع والتاريخ

لقد شكلت منطقة توات وعلى مر التاريخ دوراً تاريخياً هاماً في مد جسور التواصل بين مدن الشمال والجنوب ، أهلها لذلك موقعها الإستراتيجي الهام الذي تتوسط فيه كبريات العواصم التجارية والعلمية آنذاك ، بالإضافة إلى نشاطها الاقتصادي الداخلي المميز حيث يذكر العياشي ([1]): "أن كثيراً من الحجاج قديماً لما غلا صرف الذهب في تفلا لت أخّروا الصرف إلى توات لأن الذهب بها أرخص ، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر ، وهذه البلدة هي مجمع القوافل "وكانت القوافل التجارية للإقليم التواتي لا تكاد تخرج في مسارها عن محاور أساسية(2) هي:

- طريق السودان الغربي الذي يربط المنطقة بمنطقة مالي وموريتانيا.
- طريق سجلماسة وهو الذي يربط المنطقة بمنطقة المغرب الأقصى.
- طريق أغدامس وهو الذي يربط المنطقة من جهة الشرق بليبيا وتونس مصر.
- طريق قبائل الطوارق والبربر الضاربة جنوب توات.

---

[1] ماء الموائد (الرحلة العياشية). تحقيق محمد حاجي ، ط2 ، 1397هـ/1977م ، الجزء الأول . ص 21 مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر.

2/ إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م ، فرج محمود فرج ، ص70.وينظر أيضا:مساهمة قوافل الصحراء والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط. أ.الماحي عبد الرحمان عمر . مجلة طريق القوافل ص65. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ 2001. وينظر خريطة طرق القوافل من وإلى الإقليم في الملحق.

- طريق الشمال الجزائري وهو الذي يربط المنطقة بمدن الشمال كتلمسان ووهران والجزائر وبجاية.

- أقاليم الولاية الثلاثة بالاضافة إلى منطقة (تنزروفت) التي ضمت للولاية حديثا

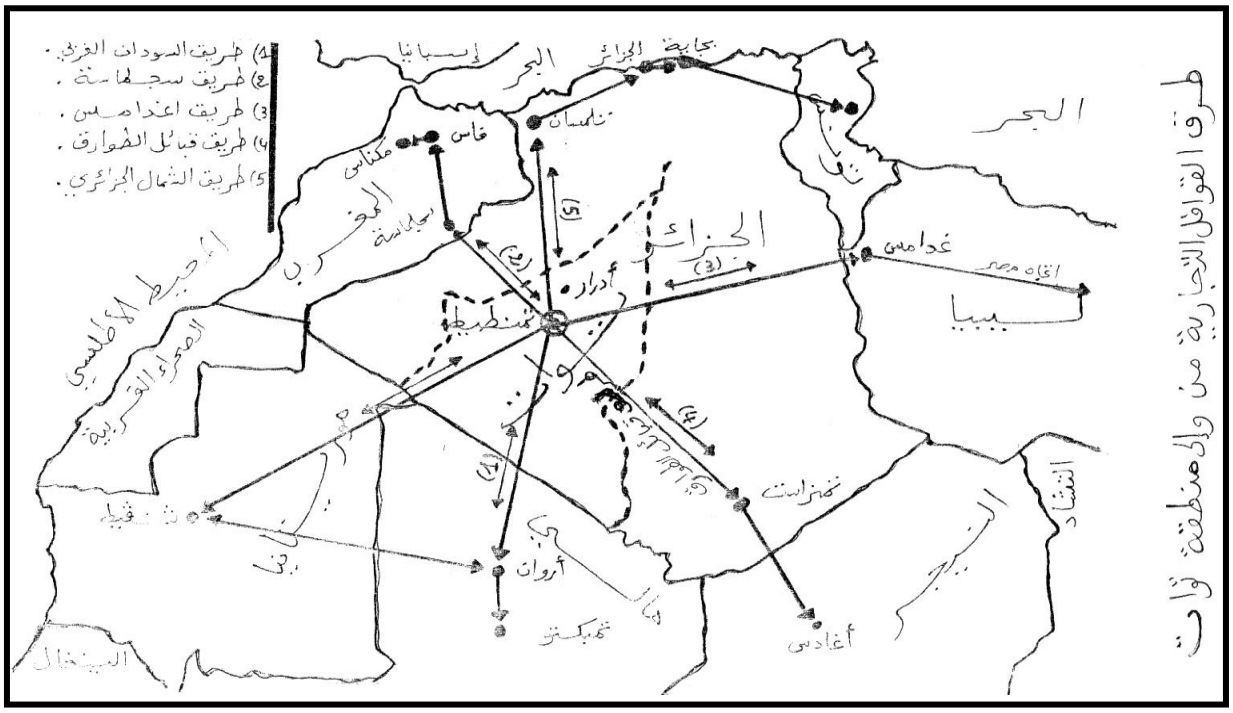

ولقد جعلت هذه الطرق جميعها من المنطقة نقطة التقاء وتواصل بينها وبين جميع تلك الشعوب المجاورة ، وهو ما انعكس إيجاباً على الحياة الثقافية داخل المنطقة ، واستفاد منه علماء المنطقة وأفادوا غيرهم في كثير من المسائل والقضايا المختلفة

شهادة العلماء في علاقة أقاليم توات بغيره من الحواضر.

لعل من أقدم وأهم الشهادات التاريخية التي تحدثت عن علاقة الإقليم التواتي بغيره من الحواضر نذكر :

شهادة ابن خلدون (ت.808هـ) [1]حيث نراه يتحدث في تاريخه عن الإقليم في أكثر من مرة وذلك في مج 1/ج1 ص 93، ومج 6/ج11 ص 120، 123، 133، 206 ./ومج13 ص 118، 119 .

من أهم تلك الشهادات قوله عن الإقليم في مقدمة الباب الأول من كتابه العبر واصفا ما كان يتنعم فيه من خيرات الأرض ونعيمها : " .....وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدارين وورکلان. " [2]

ثم نرى ابن خلدون يتحدث عن الإقليم واصفا إياها بقوله : "....وتسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المئين آخذة من الغرب إلى الشرق وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت

1 العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون . مج 1/ج1 ص 93، مج 6/ج11 ص 120، 123، 133، 206 .مج7/ج13 ص 118، 119 .دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان .

2 / المصدر نفسه مج6/ج11 ص 120.

وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالى إليه بينه " (1)
كما ذكر صاحب القاضي الفع محمود كعت أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات. ويضيف السعدي أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف . ولهؤلاء جميعا الآف المخطوطات.
عُرف إقليم توات على مر التاريخ بأنه أرض أمان واطمئنان وهو ما جعله مقصد عدد كبير من العلماء(2) من كافة الأقطار العربية والإسلامية ، على الرغم من كثرة جدبه ، وقلة رزقه .إذ كان معروفا بأنه " ذات سباخ ، كثيرة الرمال والرياح ، لا تحيط بها جبال ولا أشجار ." ([3]). وهو إلى هذا وصف بأنه "أضعف بلاد المغرب قاطبة . غالب أهله ضعفاء متضعفون ولقلة ضعف أهله ، وهضم قوة النفوس ، كثر فيه الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"(4). وهذه كلها عوامل شكلت الشروط الأساسية والمواتية لقدوم العلماء ، والزهاد ، واستقرارهم بالإقليم .ذلك أن الإقليم- كما يرى معظم المؤرخين - كان قبل الإسلام أعجميا لا عرب فيه وعلى امتداد فترات المد الإسلامي تتابعت القبائل العربية نزوحها إلى الإقليم أفواجا أفواجا .ومعه أيضا تتابع دخول(5) العلماء والشخصيات البارزة حيث دخل في سنة(815هـ) القاضي أبو يحي بن محمد قادما من المغرب ، وفي سنة (845هـ)جاء العلامة سيدي يحي بن يدير التدلسي وعين قاضيا على توات ، وفي سنة (862هـ) جاء العالم سيدي عبد الله بن أبي بكر العصنوني وسكن في بني تامر أولا ثم انتقل بعد ذلك إلى تمنطيط .وبعد ثماني سنوات من هذا التاريخ لحق به الإمام المغيلي في أول قدومه للإقليم وكان ذلك تحديدا سنة (870هـ) واتصل بالشيخ سيدي يحي بن يدير بتمنطيط وأخذ عنه ثم رحل عن الإقليم بعد ذلك لمدة تزيد عن العشر سنوات وتوغل في أدغال إفريقيا حاملا رايته الإصلاحية والجهادية.ليعود بعد ذلك إلى الإقليم مجددا سنة (882هـ) .وبعد هذا التاريخ وقبله لم تنقطع رحلات العلماء والقبائل إلى الإقليم مشكلة بذلك أهم العلاقات الثقافية بين هذه الحواضر جميعا وهو ما سنراه في هذه العينات التمثيلية من الحواضر الإسلامية :

علاقة توات بحواضر مصر :

---

1 / المصدر نفسه مج6/ج11 ص 120.
2/ مثل الشريف مولاي سليمان بن علي في القرن السادس الهجري والعالم محمد بن عبد الكريم المغيلي وأبو بكر العصموني في القرن التاسع الهجري والعالم العبدلاوي بن الطيب المغربي في القرن العاشر الهجري والعالم سعيد قدورة الجزائري في القرن الحادي عشر الهجري وغيرهم . محاضرة الأستاذ مبروك مقدم حول تاريخ الإقليم .ص65 – 66. (م.ج.أ.د.ت. أدرار) . وذكر محمد بن عبد الكريم في مخطوطه درة الأقلام، ص08 وما بعدها ، أنه في سنة 890 هـ ورد ولد الباي من طرابلس وطاف بتوات ومعه عشرة من العلماء ، كل واحد منهم يحفظ خليل وبعض أصول المذهب ومتضلع في كتب بن الحاجب وعلم المعاني والبيان ، وتبعهم علماء توات في رحلتهم داخل الإقليم
3/ مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص12 . مولاي أحمد الإدريسي الطاهري
03/ مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . محمد بن عبد الكريم البكري . ص08.

4/ ينظر مخطوط درة الأقلام .ص 6 وما بعدها .

شكلت مصر قديما محطة ورافدا أساسيا في حياة التواتيين وهذا انطلاقا من موقعها الجغرافي المتميز الذي شكل نقطة التقاء المشرق بالمغرب ، بالإضافة إلى دورها العلمي الريادي داخل الأمة العربية ، وهو ما تنبه له علماء توات باكرا ونسجوا في ذلك علاقات علمية وفكرية متينة نذكر من أهم مظاهرها :

اعتبار مصر نقطة توقف أساسية في رحلات علماء المنطقة إلى المشرق والحجاز ، ولقد جاء ذكر ذلك في كثير من مؤلفات علماء المنطقة حيث نذكر من الذين أقاموا بمصر لمدة طويلة الشيخ سيدي عبد الكريم بن محمد ، والفقيه الحاج محمد بن سيدي جعفر دفين تمقطن بأولف (أدرار). كما أن العالم سيدي عبد الرحمان بن باعومر ، تلميذ الشيخ ابن أُبّ المعروف بالمنطقة أدركه الأجل هناك في مصر ، ودفن بمقبرة سيدي عبد الله المنوفي. وقال في رثائه الشيخ محمد بن المبروك:

ألا يا مصر قد ازددت فخراً بحَبْرٍ حل مقبرة المنوفي.

رسائل ومناظرات علماء المنطقة مع علماء مصر مثل مناظرة الشيخ المغيلي و الشيخ سيدي عبد الرحمان السيوطي(911هـ) في القرن 09 الهجري حول علم المنطق حيث يعترف السيوطي صراحة بمكانة الإمام المغيلي في العلم ، وهذا من خلال رده على رسالة الإمام المغيلي التي وصلته في المناظرة المشهورة بينهما حيث قال السيوطي في مطلع قصيدته:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أقر بنبله

ثم قال في ختامها أيضا :

سلاما على هذا الإمام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله

والأكثر من هذا أن الشيخ سيدي عبد الرحمان الكسنمي ذكر[1] أن ابن عبد الكريم كان لا يقول للسيوطي إلا عبيد الرحمان فلما ألف البرهان قال صار الطالب عبد الرحمان، فلما ألف الإتقان قال تبحر السيد عبد الرحمان في العلوم و يكفي هنا أن ندرك مكانة الشيخ عبد الرحمان السيوطي صاحب المؤلفات الغزيرة في شتى الفنون لندرك من ورائها مكانة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية.

- اعتماد كثير من المتون والمدائح (المصرية) في مدارس وزوايا المنطقة وإلى الآن ونذكر من ذلك تمثيلا :
- الخريدة البهية في العقائد التوحيدية .
- أقرب المسالك على بلغة السالك في الفقه ، للدر ديري ، ومختصر خليل في الفقه .
- الجوهرة في التوحيد لإبراهيم اللقاني .
- العشماوية في الفقه للشيخ العشماوي. وغير ذلك.

كما نذكر هنا أن من أقدم الكتب المصرية التي دخلت الإقليم كانت كتب ابن الحاجب في القرن السادس الهجري ، حيث يذكر الشيخ سيدي البكري[2] " أنه في عام (890 هـ) قدم ولد الباي من طرابلس ، وطاف بتوات ومعه عشرة من العلماء كل واحد منهم يحفظ خليل ، وبعض أصول

---

1 البشرى شرح المرقاة الكبرى .عبد القادر الكسنمي ص.104. مطبعة المنار تونس .

2 مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام

المذهب... وكتب ابن الحاجب ، وعلم المعاني والبيان ، وتبعهم من علماء توات سيدي علي بن عبد الله ، وسيدي محمد بن العالم إلى بدريان " .
ومن ضمن العلماء الذين نزلوا بمصر في رحلاتهم طلبا للعلم ، أو أداء لمناسك الحج وأرخوا ذلك في رحلات خاصة ومعلومة نذكر :
**/ الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التنلاني الذي رحل لها أربع مرات على الأقل وأدركته الوفاة بالقاهرة في أثناء عودته من رحلته الأخيرة إلى البقاع المقدسة ، ودفن هناك بمقبرة الشيخ سيدي عبد الله المنوفي وقد وقفنا على المقبرة .
وكان انطلاق إحدى رحلاته([1]) من قصره بتنلان بعد صلاة جمعة يوم العاشر من شهر جمادي الثانية سنة (1188هـ). وتسير باتجاه الجنوب مرورا بتمنطيط ، ثم قصر الجديد ، ثم زاوية كنتة ، ثم زاوية الشيخ المغيلي ،ثم قرى أولف وعين صالح ، ثم الأراضي الليبية ،فمصر الذي يعبر به النيل ويدخل للقاهرة
ومن ضمن الذين نزلوا بالقاهرة طلبا للعلم - كما أخبرني بذلك الدكتور إبراهيم باجس عبد المجيد- ([2]) الشيخ إدريس بن عمر بن عبد القادر التواتي حيث يقول عنه مرتضى الزبيدي صاحب القاموس المحيط بأنه كان واحدا ممن التقاه من العلماء حيث يقول في مخطوطه الذي يترجم فيه لعلماء عصره :
"ورد إلى مصر مرات؛ منها سنة 1168، فلقيته في دار الكتب، وطلب مني شيئاً من شرح القاموس، فاغتط به، ثم ورد علينا سنة 1194، فورد منْزلي ورود محب على محب، وقرأ عيَّ أشياء، منها الدلائل، والأحزاب. واغتبط بشرح (الإحياء) كثيراً، وتأسف على عدم التمكن من تحصيله ليذهب به إلى بلاده. وقد أجزته في كراسة، وعممت فيها لأولاده. وهو مليح الخط، كثير الود، خالص الاعتقاد". ([3])
ومن العلماء التواتيين الذين أقاموا مدة من الزمن في القاهرة واستفادوا من علمائها :
الشيخ سيدي البكري(1133هـ) بن عبد الكريم بن امحمد رحل إلى مصر وهناك اتصل بعلماء كبار منهم : سيدي أبي عبد الله الخرشي مفتي الديار المصرية وقتها

علاقة توات بحواضر تونس

شكلت تونس منذ القديم محط أنظار العديد من التواتيين الذين نزلوا بها واستقروا فترة طويلة من الزمن ، بل فيهم من أقام هناك وخلف ذرية تعرف إلى الآن بلقب التواتي وهم يشكلون نسبة معتبرة من السكان المحليين :
ولعل من أبرز الأعلام التواتيين بحواضر تونس جملة نذكر ([4]) :
الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد القادر التواتي واحد من علماء القرن السابع عشر م والملقب بسيبويه المغرب.استقر به المقام بمدينة باجة- شمال غربي تونس- وكان معلماً بمدرسة الباي أبي الحسن علي باشا بتونس و بباجة التونسية كانت وفاته سنة 1621/1031
من مؤلفات الشيخ سيدي محمد التواتي المتوفى بمدينة باجة التونسية

---

1 رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر إلى الحج سنة (1188هـ) . خزانة قصر باعبد الله أدرار.
2 الباحثا في مجال الدراسات التراثية في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.
3 / مخطوط الزبيدي
4 / هذه المعلومات أمدنا بها د. زهير بن يوسف الأستاذ بجامعة تونس ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية شارع 9 أفريل 1938 تونس العاصمة.

01/ غنية الراغب و منية الطالب مصنّف شهير في علم الكلام (فن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالبرهان العقلي)كانت عليه العمدة في برنامج التدريس بجامع الزيتونة وهو مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس عدد3190 .و كان الفراغ من إنشائه و تأليفه يوم الخميس من شهر الله صفر عام ثمانية و عشرين بعد الألف 1618/1028 بباجة حرسها الله تعالى انتهى ، الورقة210
02/ شرح مختصر الأخضري الكبير في الفقه ، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس عدد c 6879و6957 c ،حبسه علي باشا على مدرسة قنطرة ابن ساكن و حوانيت عاشورسنة 1153 هـ.
03/ شرح الشواهد الشعرية لمن أراد التفرّس في العربية / شرح شواهد الكتاب لسيبويه وهي نسخة المؤلف مؤرخة في 1030/ 1620 مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس عدد5428 c ،حبسه علي باشا على مدرسة قنطرة ابن ساكن و حوانيت عاشورسنة 1153 هـ.
04/ شرح لامية الأفعال لابن مالك مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس عدد2936 c ،حبسه علي باشا على مدرسة قنطرة ابن ساكن و حوانيت عاشورسنة 1153 هـ
05/ الخبر في معرفة عجائب البشر ، مخطوط المتحف البريطاني بلندن
و من بين العلماء التواتيين الذين نشطوا الحياة الثقافية في حواضر تونس جملة نذكر :
01/ الشيخ سيدي محمد بن محمد بن محمد التواتي الشيخ المحدّث (كان حيا 1737/1149) وقد كان" صالحا له ميل إلى طريق القوم (الصوفية (محبّا للفقراء والصالحين
02/ أبو عبد الله محمد بن محمد التواتي * (كان حيا 1695/1107) الفقيه العالم الذي كان قاضيا بباجة "
03/ محمد العربي بن محمد(الشيخ المحدّث) بن محمد(القاضي) بن محمد التواتي (صاحب الغنية) (كان حيا 1736/1149)." الفقيه العدل "الذي انتصب للتدريس بالجامع الكبير" وأفاد وأجاد و تخرّج عليه خلق كثير كما تولّى منصب القضاء ، وقد كان بدوره عفيفا صالحا
04 محمد الصغير بن محمد العربي بن محمد ابن محمد بن محمد التواتي (كان حيا 1767/1180)الفقيه ،الإمام ، العالم ، المدرّس، المحدّث، وقد تقلد إلى جانب وظائفه المذكورة بالجامع الكبير منصب القضاء.
05 الشيخ سيدي احميدة التواتي (كان حيا 1188هـ
06 الشيخ سيدي محمد السنوسي التواتي (كان حيا 1194/هـ
07 الشيخ سيدي محمد صالح التواتي(كان حيا 1222 هـ
08 لشيخ سيدي محمد التواتي *(كان حيا 1278 هـ
09 الشيخ سيدي حمدة التواتي (كان حيا 1285/ هـ
10/ الشيخ سيدي محمود التواتي (ت 1286 هـالشيخ المدرّس " و قد تولى التدريس بالجامع الكبير.
11/ الشيخ سيدي محمد التواتي(كان حيا 1298 هـ
12 الشيخ سيدي أحمد التواتي (كان حيا 1300 هـ
ومن ضمن العلماء التواتيين الناشطين بحواضر تونس أيضا :
**/ الشيخ سيدي البكري(1133هـ) بن عبد الكريم بن امحمد ولد في يوم 12 من رمضان 1042هـ رحل إلى تونس في طريقه إلى الحج فأسس بها زاوية .
**/ الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم بن الحسين ، الذي أخذ العلم والمشيخة عن أبيه الحاج بلقاسم 997هـ، ثم انتقل إلى نواحي بوسعادة ، وقام بتأسيس مدرسة كبيرة هناك لكنه رحل عنها بعد مدة إلى القيروان ، ليؤسس هناك زاوية أخرى. لكن المنية كانت له بالمرصاد فمات هناك

علاقة توات بحواضرشنقيط وودان

ونمثل لهذه العلاقة بين توات وحواضر موريتانيا بالمناظرة الشهيرة بين عالم شنقيط محمد محمود والشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان 1339هـ
وقصة المناظرة كما روتها لنا المخطوطات المحلية تدور حول سؤال واستفسار عن كلمتين أوردهما الشاعر الأموي الشهير الأخطل[1] في قصيدة مدحية شهيرة[2] والتي يقول فيها :

إلى خلد حتى أنخنا بمخـلد فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمـل
أمية والعاصي وان يدع خالد يجبه هشام للفعـال ونوفـل

ومن البيت الأخير للشاعر الأخطل كما رأيناه انطلق العالم الشهير في شنقيط بموريتانيا وقتئذ يستفسر عن مقصود الشاعر الأخطل من استعماله للكلمتين المتعاقبتين في البيت المذكور وهما : (هشام ونوفل)

والسؤال من الشيخ الشنقيطي الجليل العالم محمد محمود ورد على شيخنا الجليل سيدي البكري بن عبد الرحمان في هذه الصياغة الشعرية التي يقول فيها الشنقيطي ما يلي :

أسألكم أهل المعارف من عل إلى السفل والنحر يري يسمى ويزهل
فعم السؤال العرب والعجم كلهم وخص النصارى ذا السؤال المفضل
عن اسمين مشهورين شرقا ومغربا أتى بهما الخنزير الأخطل دو بل[3]
أتى بهشام ثم بعد بنوفل خلال مديح خالد ليس يجهل
(أمية والعاصي وإن يدع خالد يجبه هشام للفعال ونوفل)
فمن نوفل.بل من هشام وماهما أشخصان أم جنسان عن ذلك أسأل
مجاز هما أم في المديح حقيقة ألا فليجب منكم عليهم مبجل
فمن كان نحريرا أجاب مبينا براهين من علم له فيبجل
ومن كان ضليلا أجاب مموها أباطيل من جهل به فيجهل

وتصل الرسالة إلى الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان ويدرك معانيها وما بين سطورها ويقبل التحدي مطلقا، ثم تكون لنا وللشيخ الشنقيطي معا هذه القصيدة الشعرية الرائعة التي حملت الرد في نفس القالب والوزن والروي الشنقيطي حيث جاء فيها[1] :

---

1 /هو غياث بن غوث بن الصلت شاعر أموي ولد سنة 20هـ 640م وتوفي سنة 92 هـ 710م ينظر ترجمته في : الأخطل شاعر الدولة الأموية . ص 57 وما بعدها . دار الفكر العربي بيروت .ط1 / 1999م . و الأخطل خمريات وأوصاف شتى .فؤاد افرام البستاني .ط6/دار المشرق بيروت

2 /أورد الشاعر كلمتي (هشام ونوفل) مرتين مرة في البيتين ومرة أخرى في قصيدته التي مطلعها :

ألا حيـيا دارا لأم هشام وكيف تنادي دمنة بسلام

إلى أن يقول : نماك هشام للفعال ونـوفل وآل أبي العاصي لخير أنام

3 / الدوبل هو الخنزير الصغير وهو لقب كانت ترقصه به أمه في صغره . ينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها . ج الدين السيوطي . ج/2 ص 430 دار الجيل بيروت . وقد هجاه جرير بهذا اللقب فقال :

بكى دوبل لا ير قيء الله دمعه ألا إنما يبكي من الذل دوبل

أيا سيدي قد ساد من ساد إذ غدى بلقائه العويص للذهن يسقــل
فعم وخص بالسؤال طماطمــا ذوي لكنة وهم بذالك أجهــل
فإن رفعوا ديـوانا الأخطل سابقا بطبع فما الطماطم بالعـرب يعدل
ألا ليتكـم قد قصـرتم بسؤلكـم بالعرب إذ هـم أجـل وأعـقل
فأما سؤال الشيـخ أعلـم وقتـه عن اسمين مشهورين أنشد الأخطل
بمعـرض مـدح خـالد وفعاله فنـعم الفتـى قد كان بالخير يعمل
فإنهمـا ليس بشخصين شخصا وليس همـا جنسين والكل يهمل
ولا علميـن في المديح كليـهما فقد أعـجز معـنى لبيبا يؤمـل
يشق هشام المدح من هشم خبزه لكـل نزيـل بالمبـجج ينـزل
ونوفل من نوافل الخيـر بعـده بذا ســاد خـالد وما كاد يجهل
لكل فعال الخير فرض ونــافلة من الفرض هشم الخبز للضيف يمثل
فقدم هذا الفـرض وهـو مقـدم وأخر نــوفل جوائـز الأعقـل

ونذكر أيضا من مظاهر العلاقات بين توات وشنقيط أيضا نذكر الإمتداد العائلي لبعض القبائل داخل الحاضرتين حيث نجد في شنقيط وضواحيها حاليا العديد من العائلات العلمية التي تحمل لقب تواتي ، أو قوراري ، وغيرها وفي الجهة المعاكسة في توات نجد عائلة الإدواعلي ذات الأصول الشنقيطية كواحدة من أهم العائلات العلمية بأقليم .
ولقب إدَاوَعْلي كما تقول الروايات الشفهية اسم بالبربرية يتكون من من كلمتين (إدو) وتعني أولاد و(علي) نسبة إلى علي كرم الله وجهه أي بمعنى أولا د علي ،أي هم العلويون، نسبة إلى الإمام علي كرم الله وجهه.
ونذكر من أبرز الشخصيات العلمية في هذه العائلة الشيخ سيدي محمد الإدوعلي المعروف ببكو. ولد الشيخ الإدَاوَعْلي بشنقيط ثم انتقل منها لتوات و كان أول العلويين الشناقطة دخولا لأرض توات على ما يروى.كان عالما مشهورا ، و شاعرا فحلا له ديوان شعري ضخم ضمنه قصائد مختلفة في مدح الرسول (ص)حتى عُرف بشاعر المديح النبوي . عاش متنقلا بين أرض شنقيط وتوات وعاصر في إقليم توات الشيخ سيدي بونعامة(1163هـ) بتدكلت .

علاقة توات بحاضرة الجزائر المحروسة

ونمثلها بعلاقة الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد (1042هـ) بشيخه وأستاذه الشيخ سيدي سعيد قدورة الجزائري.
يقول الشيخ البكري (ولما اختصرت لشيخنا سيدي سعيد قدورة * (1066هـ) العيون الغامزة على خفايا الرامزة على الخزرجية .....كتبت بعد تمام الاختصار ما نصه من الكامل ([2]):

- يا قاريـا هـذا المفيد جـد علـى # واش الحروف بدعوة بالمغفـرة
- عبد الكريـم سمـاه نجل محمـد # يرجو الكريم بفضله أن يستـره
- وبأن يكـون عبـد مولاه خالصـا # فتصير نسبته بـذاك محــررة

---

[1] **القصيدة مخطوطة عند أحفاده .خزانة تمنطيط .**
[2] **ينظر مخطوط الرحلة**

- ثم الصلاة على النبي وءاله # فهي عليهم بالدوام مقررة

فكتب تحتها سيدي سعيد ما نصه :

- يا رب فضلك واسع فاغفر له # ثم أجزه عنا بما قد سطره

" وكما اختصرت العيون الغامزة على خفايا الرامزة على الخزرجية وضع الدماميني عليها .اختصرته لرفيقي سيدي محمد العربي . قال لي سيدي سعيد ما تسمي هذا المختصر ، سمه الأرميني في اختصار الدماميني - كأنه أراد أن يختبرني – فجعل يبتسم .فقلت له بل أسميه النشر الداريني في اختصار الدماميني . والنشر هي الريح الطيبة ، وداريـن موضع بحلب منه المسك الأطيب ... "([1])

ومن ضمن مظاهر العلاقات العلمية بين توات وحاضرة الجزائر المحروسة ما نجده أيضا في رحلات علماء توات نحو حاضرة الجزائر. من ذلك ما كتبه الشيخ سيدي عبد الرحمان بن سيدي إدريس التواتي(1181هـ) في رحلته المشهورة ([2]) التي قادته إلى الجزائر المحروسة بتاريخ أول شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف(1231هـ) تاريخ الانطلاق من زاوية جده بتنلان مرورا ببلدة تيميمون وبلاد الزاب بغارداية أولا وكذا مدن المدية والبليدة وأرض متيجة ثانيا ووصولا أخيرا مع طلوع فجر يوم الأربعاء إلى الجزائر المحروسة .

وأثناء دخول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس مدينة الجزائر المحروسة وإقامته بها واجتماعه المتكرر مع قاضي المالكية بها ، أرخ لنا الشيخ لحادثة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر آنذاك، وهي هجوم الإنجليز على الجزائر بتاريخ عصر الأحد الثامن من شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (08 شوال 1231هـ/1815م) ، والتي شاهدها بأم عينه ووصفها وصفا دقيقا

علاقة توات بحاضرة بجاية:

ونمثل لها بهجرة الشيخ سيدي امحمد التواتي واستقراره بها حيث أسس زاوية مشهورة ببجاية في القرن التاسع هـ (09 هـ) كما يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله .

عُرف الشيخ سيدي امحمد التواتي بشعره السياسي الذي حرض به أهل وهران على التصدي للغزو الأسباني ، والدفاع عن مدينتهم كما يقول في مطلع هذه القصيدة **([3])**::

- يا أهل وهران انظروا نظر شفقة # لبلدتكم من قَبل أن تردت
- وقبل مجيء المنشئات ببحرها # وأي قلوب عندها مستقرة

ولا تَكلُوها غيرَكم ولئن يكن # فما غائب مثل القَيم ببلدة

- إلى أن يقول :
- فجودوا بفضل المال في حفظ كله # وأهل وجيران وشيخ وصبية

---

[1] ينظر مخطوط الرحلة

[2] ينظر مخطوط الرحلة

3/ ينظر : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر .أبو القاسم سعد الله .ج1.ص 173. ط3/ 1990 .دار الغرب بيروت لبنان ، وموسوعة الشعر الجزائري ص 184/183.ج1. إنجاز أد الربعي بن سلامة وآخرون .ط1/ 2002. دار الهدى عين مليلة الجزائر .

- وما يغنـي عنكم مالكم إن أتاكـم # عـدو بليل بسـدفة سحـرة
- وقـد عظم الله الديار خـروجها # فحـذرتكـم والله يـعلم نـيتي
- فـإن لم يكن في الغرب أكبر غيرة # وفي الأندلس فجعة أي فجعـة

- وأخير يعود الشاعر إلـى ضـرورة التأكيد علـى رجـال أهل الجزيرة بـالنظر إلـى خبـرتهم الحربية في حماية المرسى وعدم التفريط فيـه لأن ضياعه - كمـا قـال - هو ضياع للبلاد الإسلامية شرقا ومغربا .

- وإن ضـاع مرساكُم فإن ضياعَـه # ضياعُ بلاد الله شـرقا وقبلـة
- ولا يَحم مرساكُم ضعافُ رجالكـم # ولا البـدوُ بل تحميه أهل الجزيرة
- فإن لهم بالطعن والضرب خـبـرةٌ # وكم فتـكوا بالكـفر أكبرَ فتـكة
- أإخوانَنا في الله ألقـوا مسامـعاً # ولا تُهمـلوا مـا أبرَزَتهُ قريحتي

الخاتمة :

أخيرا يمكن القول :إن إقليم توات وبالنظر إلى موقعه الجغرافي المتميز الذي توسط فيـه كبريـات الحواضـر الثقافيـة والإسـلامية قـديما ،و إضـافة إلـى العنصـر الأمنـي الـذي كـان الشـغل الشـاغل لإنسان ذلك العهد لما عرف عنه من حروب وصراعات كل هذا وغيره كثير جعل من الإقليم ومنذ قرون غابرة نقطـة التقاء وتقاطع بين مجمل الحواضـر الشمالية والجنوبيـة وبذاك شكل ساحة حراك ثقافي وعلمي فعال ، أنتج على مر القرون مئات الأعلام وآلاف المخطوطات

مصادر ومراجع البحث

الممخطوطة :

أضواء على إقليم توات للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم (ت.1133هـ) تحقيق مقدم مبروك مقدم، ص140.

مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان ، ط1 ، 1422 هـ/2002 م. الجزائر

درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، لسيدي البكري ، ص14 .

رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس إلى الجزائر المحروسة سنة (1231هـ) .خزانة قصر كوسام أدرار .

رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر إلى الحج سنة (1188هـ) . خزانة قصر باعبد الله أدرار.

رحلة الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد التواتي في طلب العلم .خزانة قصر باعبد الله أدرار.

نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص12 . مولاي أحمد الإدريسي الطاهري.

المطبوعة :

أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر .أبو القاسم سعد الله .ج1.ص 173. ط3/ 1990 دار الغرب بيروت لبنان
إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م . فرج محمود فرج .
البشرى شرح المرقاة الكبرى .عبد القادر الكسنمي ص.104. مطبعة المنار تونس .
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون .دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان .
ماء الموائد (الرحلة العياشية). تحقيق محمد حاجي ، ط2 ، 1397هـ/1977م ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر.
وموسوعة الشعر الجزائري إنجاز أد الربعي بن سلامة وآخرون .ط1/ 2002. دار الهدى عين مليلة الجزائر .
مجلة طريق القوافل ص65. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ 2001. موضوع :
" مساهمة قوافل الصحراء والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط." أ.الماحي عبد الرحمان عمر .